خطبة بعنوان: سعة رحمة الله

يوم الجمعة: ١٤٤١/٠٦/١٣هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيأيها المسلمون ... يقع المؤمن في التفريط والإضاعة، والإعراض عن البر والطاعة؛ فينتظم في عِداد الخطائين، ويركب مراكب المذنبين؛ لكن تعظم رغبته، ويشتد تعلقه برحمة ربه ومولاه، فيقبل إقبال المخبتين، ولا يكون من القانطين واليائسين؛ لأنه يعلم أن الله يحب التوابين.

أيها المسلمون ... يبادر المؤمن بالتوبة، ويسارع بالأوبة، والرجوع عن المآثم والحوبة؛ لأنه أيقن بوعد الله ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:٥٤]؛ ولأن المؤمن صَدَّقَ بخبر الله ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩]؛ ولأن المؤمن قَبِلَ دعوة الله ودعاءه﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]؛ ولأن المؤمن أدرك سعة رحمة الله، وعظم فضله وعطائه ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان:٧٠]

أيها المسلمون ... يمتلئ قلب المؤمن حياءً، ويفيض فؤاده خجلًا عندما يسمع أخبار الله، وأخبار رسوله ﷺ في سعة رحمة الله وعظم فضله ولطفه بعباده مع تقصيرهم في حقه، واستغنائه سبحانه عنهم.

أيها المسلمون ... قُدِم على النبي ﷺ بسبي وكانت امرأةٌ في السبي تبحث عن ولد لها، حتى إذا وجدته ضمته إلى بطنها وأرضعته فقال النبي ﷺ :((أترون هذه الأم طارحةً ولدها في النار؟ قالوا: لا يا رسول الله. فقال ﷺ: لله أرحم بعباده من هذه الأم بولدها)) .

أيها المسلمون ... إن الله يبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار حتى تطلع الشمس من مغربها.

إن الله خلق مائة رحمة فأنزل رحمةً واحدة بين الجن والإنس والدواب والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها يعطف الوحش على ولده، وادخر وأخر تسعةً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة. إن الله لما خلق الخلق كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: "إن رحمتي غلبت غضبي" وفي رواية "سبقت غضبي"

يقول الرب جل جلاله: " يا ابن آدم إنك ما دعوتني، ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك، ولا أُبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة".

قدم على النبي ﷺ شيخٌ كبيرٌ هرِمٌ سقطت حاجباه على عينيه، فقال: يا رسول الله: أرأيت رجلًا عمل الذنوب كلها ولم يترك داجةً ولا حاجةً إلا أتاها، ولو قُسِمت خطيئته على أهل الأرض لأهلكتهم هل له من توبة؟ فقال النبي ﷺ : ((هل أسلمت؟ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله و انك رسول الله. فقال ﷺ: تفعل الخيرات، وتترك السيئات فيجعلهن الله كلهن خيرات. فقال: يا رسول الله وغدراتي، وفجراتي؟ فقال النبي ﷺ: نعم، وغدراتك وفجراتك. فقال الرجل: الله أكبر. الله أكبر. فما يزال يرددها)) .

أيها المسلمون ... يدني الربُ العبدَ يوم القيامة فيضع عليه كنفه، ويستره ويقول له:" أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟" والعبد يقول: أي نعم يا رب، فيستره ربه، ويقول: "قد سترتها لك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم".

أيها المسلمون ... آخر من يدخل الجنة رجل يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة حتى إذا ما جاوزها التفت إليها، وقال: الحمد لله، أو تبارك الذي نجاني منك فإنه أعطاني ما لم يُعطَ أحدٌ من الأولين والآخرين فتُرفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني منها لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الرب الكريم: إن أعطيتكها لا تسألني غيرها؟ فيعاهده على ذلك، والرب الكريم يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها فترفع له شجرةٌ هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب أدنني منها لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الرب الكريم: ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها، والرب الكريم يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها،

فيستظل بظلها، ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرةٌ عند باب الجنة، فيقول العبد: أي رب أدنني منها فيقول الرب الكريم: ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها، والرب الكريم يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا دنا منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول العبد: أي رب أدخلنيها، فيقول الرب الكريم: لك الدنيا، ومثلها، فيقول العبد: أتسخر مني وأنت رب العالمين، فيقول الرب الكريم: لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء لقادر.

أيها المسلمون... يُروَى أن الأرض تقول في كل يوم: يا ربي دعني أبتلع ابن آدم ؛ فإنه يأكل من رزقك ولا يشكرك، وتقول الجبال: دعني أطبق على ابن آدم؛ فإنه يأكل من رزقك ولا يشكرك، وتقول البحار: دعني أُغرق ابن آدم؛ فإنه يأكل من رزقك ولا يشكرك، وتقول السماء: دعني أُسقط كسفًا من السماء على ابن آدم؛ فإنه يأكل من رزقك ولا يشكرك، فيقول الرب الكريم: أأنتم خلقتم عبادي؟ فيقولون: لا يا ربنا، فيقول الرب الكريم: لو خلقتموهم لرحمتموهم، دعوني وعبادي.

أيها المسلمون... إن العبد إذا سمع هذه الأخبار ازداد محبةً لله تعالى، وتعلقًا به، و إن العبد إذا سمع هذه الأخبار طمع في فضل الله، وأمل في عطائه، ورغب فيما عنده. وإن العبد إذا سمع هذه الأخبار أعرض عن الخلق جميعًا، وأقبل بكليته على الخالق وحده لا شريك له، وإن العبد إذا سمع هذه الأخبار لم يتسلل إلى قلبه قنوط، ولم يدخل إلى فؤاده يأس؛ لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم به من الأم بولدها، و إذا سمع العبد هذه الأخبار ازداد حياءً وخجلًا من الله تعالى؛ فإنه على عظم ذنوبه، وتقصيره في حق ربه إلا أن الرب الكريم لا زال يدعوه ويناديه إلى رأفته ورهبته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

اعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.